التعليم بالعربية

تحيا لغة كل أمة بحياة سياستها فاذا انتعشت هذه خدمت تلك فانتشرت ونمت . ومتى ضعفت السياسة ضعفت اللغة بضعفها . فقد رأينا اللغة الانكليزية تغلبت على الفرنسية أو كادت في معظم اقطار المعمور لان سياسة انكلترا وابنتها الولايات المتحدة نافذة في القارات الخمس ولأن الشعوب الانكليزية السكسونية أرقى الامم بعلومها وآدابها واخلاقها وصناعاتها ومتاجرها واستعمارها . واللغة أيضاً كالتجارة تابعة لعَلَم الدولة فحيثما خفق لواء أمة وانبسط ظل سلطانها تتغلب بالطبيعة لغة ذلك العَلَم والسلطان . والناس مفطورون على تقليد حاكمهم في منازعهِ ومناحيهِ تقليدهم له في شعاره . واللغة رأس كل تقليد وتشبُّه . وعلى هذه السنة جرى المغلوبون على امرهم من الروم والقبط والترك والفرس في الدولة الاموية والعباسية وأخذوا يتلقفون العربية خصوصاً بعد أن نُقلت لغة الدواوين في عهد عبد الملك بن مروان الاموي من الرومية والفارسية الى العربية وقال سرجون كاتب عبد الملك لكتاب الروم : اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم

وقد اهتمّ الانكليز لما احتلوا هذا القطر بجعل التعليم بالانكليزية في مدارسهِ لينشأ لهم على الزمن جيل جديد يفهم مغازيهم ومراميهم ويكون عونهم على تأليف القلوب وواسطة للتفاهم فلا يستثقل ظلهم ولا يتبرم بدولتهم . ومن تعلم لغة قوم وثق بهم وعرف تاريخهم وشرائعهم وأشرب قلبهُ حبهم . ولطالما رأينا من تعلموا العربية من متعصبي الافرنج هاموا بالعرب وتاريخها وشريعتها ولا هيام اهلها بها وغاروا عليها غيرة الكرام . وكذلك الحال بالانكليزية مثلاً فانا نرى متعلميها يتشيعون لاهل تلك اللغة . ومن علم شيئاً والاه ومن جهل شيئاً عاداه

حمي وطيس الحوار في الشهر الماضي في بهو الجمعية العمومية في هذه العاصمة بشأن اعادة التعليم بالعربية في المدارس الاميرية المصرية الى ما كانت قبل سنة ١٨٨٩ فكانت حجة الحكومة ان العربية لا يتسع صدرها ولا ينطلق لسانها للعلوم العصرية وما تنتجهُ حضارة الغرب كل يوم من المسميات التي لا أسماء لها في هذه اللغة وانها لو سمحت الآن باعادة التعليم بالعربية في المدارس لأعوزها الاساتذة والكتب . وليس هنا محل تفنيد الآراء التي تمليها الاهواء السياسية في هذا الشأن ، وانما نلم بذكر رأينا العلمي في هذه اللغة التي يرميها المماحكون بأنه يتعذر عليها أن تكون بعدُ لسان العلم ومباءة الحكمة الغربية

ان كل منصف للعربية ليراها قد اتسعت لكل ما أُلقي عليها من علوم الحضارة ومطالبها ولم تتحرج من ادخال الكلمات الدخيلة التي لا عهد لها بها فما وجد التراجمة والنقلة في العهد الاول مرادفاً له في أصل اللغة وضعوه وما لم يروا له لفظاً أو مادةً يشتقون منها نقلوه على اصله او نحتوه بعض النحت بحيث لا يصعب على العربي أن ينطق به لمخالفته الصيغ المألوفة . هكذا جروا في معظم الالفاظ الفقهية والكلامية والفلسفية والنجومية والطبيعية والطبية والرياضية والزراعية والكيماوية ولم يكن التراجمة كلهم من الماهرين بالعربية بل كان المترجمون كثيراً ما ينقلون المعاني وعلماء اللغة والمحيطون بشواردها وضوابطها يضعون الالفاظ والمصطلحات وكثيراً ما كانوا يترجمون اللفظة الواحدة اذا عجزوا بجملة تفسرها . وهذا مألوف في معظم اللغات وقلما يكون لكل لفظة في لغة مرادف لها من اللغة الثانية ولا سيما اذا كان النقل من لغة غربية الى لغة شرقية كما كان صدر الدولة العباسية . والمعلوم نقلت عن الرومية والنبطية والفارسية والنقل عن الرومية اكثر . والرومية غربية بعيدة عن العربية الشرقية في أسلوبها

ألا وان كتب الاسلاف لتشهد أبد الدهر بأن العربية تقبل كل دخيل وعلم .

وفي المؤلفات العلمية التي ظهرت في مصر على عهد محمد علي وسعيد اكبر دليل على ذلك

فقد كان المترجمون ينقلون الكتب الى العربية فيجيء المصححون في دار الترجمة يقوّمون العبارة وينظرون في بعض ما له مقابل من اللغة . كان ذلك قبل ثمانين سنة واللغة العربية منحطة لارتفاع ستد العلوم الكونية من بين اهلها قروناً فما بالك اليوم وقد ارتقت لهجة اللغة واستحكمت ملكتها في القائمين على الكتابة والتدريس وصار كثير من العامة ممن شغفوا بالمطالعة يميزون بالفطرة بين صحيح الكلام وفاسده وأصبح اكثر تلك العلوم لأبنائنا مألوفاً بل غدا معظم المترجمين ينقلون في اصعب الموضوعات بأسلوب تكاد لا تقرأ فيه صورة الترجمة لسلاسته

نعم ان الواحد منا قد يصعب عليه اليوم نقل علوم لا عهد لنا بها كعلم الحياة (بيولوجيا) مثلاً فلا يكون ضعفهُ في ذلك دليلاً على ضعف اللغة التي لم تحشر الى ذهنه ساعة الترجمة ألفاظها وتراكيبها بالسرعة التي يريدها بل الذنب كل الذنب على جهله ذلك العلم لان فهمهُ يتوقف على الاحاطة بعلوم كثيرة ليست من المألوفات عنده . وأنى يتأتى لمن لا يفهم الاصل أن يحسن نقله بألفاظ وأسلوب يفهمهُ من لم يفهمهُ واللفظ والمعنى يخونانهِ ؟ . ولو درسنا هذا الفن على اهله لما صعب علينا نقله بأسره . فنترجم الالفاظ التي لا مرادف لها عندنا بجملة ربما يقوم من يضع لها مرادفاً في لغتنا أو نأخذها كما هي في اللغات الافرنجية على نحو ما اخذنا كثيراً من الالفاظ في العهد الاخير وأدمجناها في مطاوي كلامنا

والعربية ليست دون التركية في معنى النقل فان الاتراك فتحوا باب النقل من اللغات الاوربية فاغتنت لغتهم على قلة مادتها الاصلية بآداب الامم الغربية وعلومها . ولو أتيح للعربية أن يعاد قلم الترجمة الى القاهرة كما كان لا يصعب على المدارس الابتدائية والثانوية والعالية أن تسير مع العلم الغربي كتفاً الى كتف . فلا يفوتنا هنا اليوم ما نُشر في الغرب أمس . وكيف يطلب من العربية الآن أن تحوي كتباً بأحدث

ما تمّ من ابحاث العلم واكتشافاته بعد أن بطلت منبا الترجمة في العلوم العصرية منذ أبطلت كلية بيروت الاميركية تدريس العلوم بالعربية وجعلتها بالانكليزية وقضت نظارة معارف مصر أن تكون الانكليزية ايضاً لغة المدارس وضعف تعليم آداب اللغة في مدارس الاجانب في سورية وفي المدارس الاميرية بمصر

وكان من هذا الضعف أن زهدت النفوس في تعلم لسان العرب وانتهى أمره الى نفر من المولعين به وهم افراد لا يبنى عليهم حكم في مصر والشام والعراق وتونس . بل وكلت خدمتهُ لمرتزقة الكتّاب كأكثر محرري الجرائد وكتاب الروايات وبعض أساتذة المدارس ومعظمهم لا يهمهم من اللغة الا أن يكتبوا ما يُطلب منهم أو يعملوا في الدائرة التي حددت لهم . وبديهي أن الناس لا ينبعثون الى التأليف في لغة الا اذا وجدوا المنشطات عليه والدواعي الحافزة اليه كأن تقبل الدولة ما يؤلفون وتنيلهم الجوائز عليه وتطبعه على نفقتها وتدرسه في مدارسها . وانما يرغّب الناس في العلم وهو أشق الصناعات وأشرفها رواج سوقهِ بين الخاصة والعامة ولكن اذا رأى المؤلفون أن بضاعتهم مزجاة وأن ارقامهم كعباً لا يربح من قلمهِ ما يسدّ جوعتهُ وأسعدهم من لم يُضطهد في سبيل نشر علمهِ فبيهات أن تنشط اللغة من عقالها . واذا لم توفق مصر الى جعل التعليم بالعربية يستحيل أن توجد كتب علمية أو ينشأ لها نشوء يحسن الكتابة والخطابة على مناحي البلغاء . دع عنك الافراد فانهم لا يخلو منهم زمن مهما بلغ من انحطاطهِ العلمي والاجتماعي

يا عدل

متى تحضر نطب يا عدل بالا ... واما ان تغب عنا فلا لا
وكم واعدتنا يا عدل وصلاً ... رجوناه فلم تُنيل الوصالا
وطالبناك بالانجاز لما ... مطلت فلم تزد الا مطالا